الدلالة الإجرائية لـ(لسياق)
عند أبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)
في كتابه (إعراب القرآن)

الدكتور

جبار سويس حنيحن

الكلمات المفتاحية

- **دلالة السياق المعجمية**
- **دلالة السياق الاصطلاحية**
- **السياق واللسانيات الغربية**
- **السياق في الثقافة العربية**
- **السياق والإجراء**
- **نصوص أبي جعفر النحاس**

Procedural semantics of context
Abu Jaafar Annahas (D.338) in his book
(Eiarabb Al Qur'an)

ملخص

بحثنا هذا محاولة أخرى لدراسة دلالة كلمة السياق في كتابات المؤلفين العرب الأقدمين، لمعرفة ماكانوا يحمّلونها من دلالات، وما يقصدون بها، فكان أن قصدنا علماً من أعلام العربية هو أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، وفتشنا عن كلمة (سياق) في كتابه إعراب القرآن، لمعرفة معناها، وما تحيل عليه من دلالة، فكان بحثنا الذي جعلناه مبحثين؛ تناولنا في أولهما دلالة السياق اللغوية في المعجمات اللغوية العربية، ومعرفة دلالة مصطلح السياق عند أصحابها من اللسانيين الغربيين، لتكون لنا دليلا عند موازنة مفهومها لديهم، مع مفهومها عند النحاس. من ثم عرضنا المفهوم الاصطلاحي لمصطلح السياق عند العرب الأقدمين، والذي غاب عن معجمات الاصطلاحات، وحضر في كتب البلاغيين والأصوليين والمفسرين وكتب علوم القرآن. أما المبحث الآخر فقد خصصناه لمعرفة دلالة مفردة السياق عند النحاس في كتابه إعراب القرآن، التي وردت لديه في مواضع عدة من كتابه، محاولين التعرف على معناها، وما تشير إليه من دلالات تعبر عن مفهوم النحاس لمفردة (السياق). وختمنا بحثنا بأهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

Summary

This research attempt to study the significance of the word context in the writings of the ancients, Arab authors to see if they was carry connotations, and what they mean, it was the intention of informing the Arabic is Abu Jaafar Annahas (D. 338), searched for the word (the context) in his book (Eiarabb Al Qur'an), to learn its meaning, and refers to indications, we who made it two sections; we in the first indication of language in context the dictionaries Arabic language, knowledge of the significance of the term context when the owners of the lingual Westerners to have proof when balancing their concept With their concept when copper. Then our conventional understanding of the term senior Arab context, which missed the dictionaries, terminology in the books of the rhetorical and fundamentalists and commentators wrote the Koran.

Either the section other allocation for single indication when Annahas in his book (Eiarabb Al Qur'an), which he has written in several places, trying to learn its meaning, and the connotations of the concept of Annahas (the context). And we ended the most important findings of the research findings.

المقــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله السابق بالكرم، والمحمود على جليل النعم، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأمم، المخرج الناس من دياجير الظُلم، أبي القاسم محمد الأمين، وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين..

أما بعد..

فقد شهد العصر الحديث تطوراً بالغا في ميدان البحث اللغوي، أنتج نظريات لغوية عدّة، من بينها نظرية السياق التي أخرجت هذا المفهوم من أروقة علم الدلالة، لتجعله منهجاً مستقلا في دراسة المعنى، ولعلها أفادت مما سبقها من تراث لغوي ثري أعطى أصحاب هذه النظرية المفاتيح التي مهدت لهم وضع أسس نظريتهم.

حين تعرّف الباحثون العرب على هذه النظرية -شأنها شأن كل النظريات الأُخر التي تلقوها على يد أصحابها- عمدوا إلى عرض أسس هذه النظرية على خزائن التراث اللغوي العربي، فوجدوا أن اللغويين العرب قد أدركوا أهمية السياق بشقيه اللغوي وسياق الحال، ووضعوا له مسميات كثيرة تلائم كل نوع منه. فضلا عن ذلك وجدوا أن العرب قد استعملوا مفردة السياق، التي هي ترجمة المصطلح الإنكليزي (Context)، وبما يقارب مدلولها عند المحدثين من الغربيين، الأمر الذي دفع الدكتور تمام حسان -وهو أحد طلاب فيرث صاحب النظرية- أن يصرح باكتشافه أن العرب سبقوا الغربيين بهذه النظرية بأكثر من ألف عام.

من هنا تناول كثير من الباحثين موضوع السياق بالبحث، ومقاربة ماورد منه في التراث العربي، مع ماقدمه السياقيون المحدثون، وجاء بحثنا هذا محاولة أخرى لدراسة دلالة كلمة السياق في كتابات المؤلفين العرب الأقدمين، لمعرفة ماكانوا يحمّلونها من دلالات، وما يقصدون بها، فكان أن قصدنا علماً من أعلام العربية هو أبو جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، وفتشنا عن كلمة (سياق) في كتابه إعراب القرآن، لمعرفة معناها، وما تحيل عليه من دلالة، فكان بحثنا الذي جعلناه مبحثين؛ تناولنا في أولهما دلالة السياق اللغوية في المعجمات اللغوية العربية، ومعرفة دلالة مصطلح السياق عند أصحابها من اللسانيين الغربيين، لتكون لنا دليلا عند موازنة مفهومها

لديهم، مع مفهومها عند النحاس. من ثم عرضنا المفهوم الاصطلاحي لمصطلح السياق عند العرب الأقدمين، والذي غاب عن معجمات الاصطلاحات، وحضر في كتب البلاغيين والأصوليين والمفسرين وكتب علوم القرآن.

أما المبحث الآخر فقد خصصناه لمعرفة دلالة مفردة السياق عند النحاس في كتابه إعراب القرآن، التي وردت لديه في مواضع عدة من كتابه، محاولين التعرف على معناها، وما تشير إليه من دلالات تعبر عن مفهوم النحاس لمفردة (السياق). وختمنا بحثنا بأهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

ختاماً نرجو أن نكون وفقنا في عملنا اليسير هذا ومن الله التوفيق والسداد..

المبحث الأول
السياق بين الدلالة المعجمية والمفهوم الاصطلاحي

دلالة السياق في المعجمات العربية:

الدلالة التي يحملها لفظ (سياق)، تنقلت بين المعنى المعجمي، الذي جعلها في قالب التتابع، أو المتابعة، والسير بنسق وانتظام، مثلما توحي به المادة اللغوية التي ضمتها المعجمات. فـ "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء. يقال ساقه يسوقه سَوقاً. والسَّيِّقة: ما استيق من الدوابّ"[i].

والسياق أيضاً من "تساوقت الإبل تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"[ii]. إذن فالسياق والسوق في الكلام هو التتابع أيضاً –مثلما يورد الزمخشري-، وهو السرد، والسرد –بحسب الزمخشري- يعني التتابع؛ يقول: "قال الشماخ يصف حُمُراً:

شككن بأحساء الذُناب على هوى كما تابعت سَرْدَ العنان الخوارز[iii]

أي تتابعن على هوى الماء (...)، وقيل لأعرابي ما الأشهر الحرم؟ فقال: ثلاثة سردٌ وواحدٌ فردٌ. وتسرّد الدّر: تتابع في النظام (...)، وسَرَدَ الحديث والقراءة: جاء بهما على وِلاء"[iv].

"وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة (...)، والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً، والأصل في تساوق تتساوق كأنها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل ويتخلف بعضهاعن بعض"[v].

"ومن المجاز: ساق (المريض) يسوق (سوقاً وسِياقاً) ككِتاب: إذا (شرع في نزع الروح (...)، ومن المجاز: (السِّياق ككِتاب: المَهْرُ)، لأنهم إذا تزوجوا كانوا يسوقوق الإبل والغنم مهراً؛ لأنها كانت الغالب على أموالهم، ثم وضع السِّياق موضع المَهْر وإن لم يكن إبلاً وغنماً"[vi].

مماتقدم نخلص إلى أن دلالة اللفظ (سياق)، لم تخرج عن معنى التتابع؛ سواء في السَوق للإبل وسواها، أو المريض حين ينازع الروح؛ إذ تفارق الجسد بالتتابع بعد أن يدب الموت في الأعضاء عضوا فعضوا.

أو السياق (المهر) الذي غلب على كل الأموال بعد أن كان المهر يدفع من الإبل والأغنام؛ إذ تساق الإبل إلى ذوي المرأة المراد الزواج بها[vii]. أو ورودها فيما يتعلق بالحديث أو الكلام؛ يعني أيضاً تتابعه، وترابطه، وانتظامه، وتناسب أجزائه، وهو في هذا لايخرج عن معناه العام (التتابع).

دلالة السياق الاصطلاحية في الفكر اللساني الحديث:

لعل مصطلح السياق الذي اتخذ موقعاً مهما في الدراسات اللسانية الحديثة، هو من متبنيات الدراسة الدلالية للغة، ونشأ في حضنها بوصفها فرعا من فروع الدرس اللساني الحديث، وبفضل عناية اللسانيين به اتخذ شكلا مستقلا منظما.

وتعني الدلالة المصطلحية لمفهوم السياق (context) بأنها ذلك "المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية؛ سواءً أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية"[viii]. أو هو "النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[ix].

وقد ورد تعريف السياق في مجموعة من المعجمات اللسانية ومعجمات السيميائيات بأوجه عدة منها أنه "مجموعة الظروف المحيطة بحدث كلامي ما (سواء أكان مكتوباً أم ملفوظاً)، وتعرف بمقام الكلام. إذ بوساطة ظروف مثل الوضع المادي والاجتماعي، وهوية المتكلمين، والموقف الذي قيل فيه الكلام نحدد المعنى. إذ تُظهِر صورةُ الموقف الكلامي، وجهات نظر المتحاورين (بما في ذلك ما يعتقده كل منهم بالآخر)، والأحداث التي رافقت الكلام أو التي سبقته. ويطلق على هذه الظروف مسمى السياق"[x].

وواضح من التعريف السابق أنه اقتصر على نوع واحد من السياق الذي يعنى فقط العلاقات غير اللغوية التي تحيط بالكلام، وتؤثر في دلالته، وأشار إليه بمقام الكلام.

وعرّفه غريماس وكورتيس في معجمهما للسيميائيات بأنه مجموعة النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة، وتتعلق بها الدلالة؛ إذ يمكن له أن يكون صريحاً أو لسانياً، ويمكن أن يكون ضمنياً، وينماز في هذه الحالة بأنه سياق خارجي لساني أو مقامي[xi].

ويعود فضل ظهور مفهوم السياق (Context) بوصفه نظرية علمية إلى اللغوي الإنكليزي فيرث (J.R.Firth) الذي رأى أن دراسة المعنى اللغوي تقوم على ركنين اثنين هما؛ سياق المقال، أو السياق اللغوي الذي يتمثل بعلاقة الكلمة بما يسبقها، ومايليها من كلمات أخرى. ويشمل الجوانب اللغوية التي تحكم الكلام من صوتية، وصرفية، ونحوية، ومعجمية فضلا عن الدلالية.

والسياق غير اللغوي، أو سياق المقام وهو ماتضفيه الظروف الخارجية عن اللغة، التي يرد فيها الكلام من دلالات عليه. وتشمل الجانب الاجتماعي والثقافي للمتكلم والمخاطب على حد سواء، وكذلك البيئة المحيطة، والزمان والمكان وما يحملان من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها... [xii]

إذ يأتي الكلام في صورة عمل يمكن أن يراقب الموقف وأن يغيره. وتتحقّق تأثيرات السياق من طريق ما يقوم به منشئ الكلام من تزويده بمعتقداته وأهدافه الخاصة للأنموذج الذي يقيمه للموقف الاتصالي، وتسير هذه العملية جنباً إلى جنب مع توقعات المتلقي، ومعرفته السابقة عن العالم الذي بُنِي فيه الكلام. وقد لا تكون إلاّ بعض الوساطة في عناصر الموقف، مثلما هي الحال في الاتصال بالمواجهة، ولاسيّما في الأمور التي تخضع للإدراك المباشر، وقد تكون الوساطة جوهرية حين يتعلّق الأمر بقراءة نصّ قديم ذي طبيعة أدبية، يتحدث عن أمور تنتمي إلى عالم غير العالم الذي فيه قارئ النصّ[xiii].

ولم يقتصر مصطلح السياق على هذين الركنين، بل أضاف بعض اللغويين تقسيمات أُخر للسياق منها السياق الثقافي، والسياق العاطفي[xiv]. ثم أن دلالات السياق تعددت عندهم، لكن الغالب على هذا مصطلح المعنى التقليدي الذي أشار إليه أولمان بقوله: "وكلمة السياق (Context) قد استعملت في معانٍ مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهمّ مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي؛ أي (النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم)، بأوسع معاني هذه العبارة"[xv].

والمعنى الواسع لهذه العبارة يفصله أولمان بالقول: "إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل –لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب- بل والقطعة كلها والكتاب كله. كما ينبغي أن يشمل-بوجه من الوجوه- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"[xvi].

ولعل هذا المعنى الذي عبر عنه أولمان بالتقليدي هو المفهوم الشائع والأوسع للسياق، إذ لايقتصر على المقال وحده، والعلاقة اللغوية بين الكلمات المتراصفة في الكلام/النص، بل يشمل أيضاً العلاقات المقامية التي يتضمنها سياق الحال أو المقام. وهذا المفهوم هو الذي سيكون المعيار الذي نحاول أن نقيس عليه ماحملته لفظة السياق من دلالات اصطلاحية وردت في كتب المصطلحات العربية، أو دلالات إجرائية نتجت عن استعمال اللفظة في الكتابات العربية في كتب التراث.

مفهوم السياق الاصطلاحي في الثقافة العربية:

على الرغم من شيوع كلمة (السياق) في كتابات المؤلفين العرب الأقدمين، إلا أننا من النادر أن نجد تعريفا جامعا مانعا لهذا المصطلح في كتاباتهم، ولاسيما في معجمات المصطلحات، التي خلت من ذكر تعريف لها، سوى الكفوي الذي عرفه بكلمتين ليس غيرهما: "السباق بالموحدة: ما قبل الشيء، والسِّياق بالمثناة أعم"[xvii]. وهذه الحقيقة أشّرها كثير من الباحثين، فقد صرّح الطلحيّ بأن "أولاً يمكن إطلاق حكم مفاده أنه مع تعويل القدماء على السياق والإفادة منه في فهم النصوص، أو بنائها؛ إلا أنه لم يعتدّ به مصطلحاً قائما في العلوم المشار إليها، بدليل أنه لم يوضع له تعريف معين، ولم يجر له في كتب الاصطلاح ذكر"[xviii].

ونجد آخر يحاول تفسير هذا الأمر ويعزوه إلى أن شيوع كثير من المصطلحات، قد يوهم الدارسين بوضوحه لديهم، لكنهم حين يأتون لوضع تعريف له، يشق الأمر عليهم، ويبدو غامضا عسيراً؛ يقول: "قد يشيع المصطلح العلمي بين الدارسين إلى درجة الابتذال، فيتوهم بعضهم أن هذا المصطلح واضح مفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنهم يفهمونه، بدا الأمر عسيرا غاية العسرة، وغامضاً أشد الغموض، ومن تلك المصطلحات اللغوية الشائعة الاستعمال، العصية

علـى التحديـد الـدقيق بشـكل متفـق عليـه بـين الدارسـين، مصـطلح الكلمـة، ومصـطلح الجملـة، ومصطلح السياق"[xix].

ومن دلائل إدراك العلماء العرب أهمية السياق في تحديد دلالة المفردة في الكلام، ماشاع على ألسنتهم من تفسير له، وتنبيه إليه بأسماء كثيرة منها: الحال أو الأحوال، والمشاهد أو المشاهدة، والدليل، والقرينة (القرائن)، والمقام، والموقف[xx]. وهذا ما أشار إليه الدكتور تمام حسان عند حديثه عن معرفة العرب بأهمية المقام في توجيه المعنى بأن العرب المتقدمين قد سبقوا غيرهم بفكرة المقام بألف سنة تقريباً، وأن "مالينوفسكي لم يكن وهو يصوغ مصطلحه الشهير (Context of situation) يعلم أنه مسبوق إلى هذا المصطلح بألف سنة أومافوقها"[xxi].

ولعل من الإشارات الدالة على أهمية السياق في تحديد المعنى قول الأنباري (ت٣٢٧هـ) في كتابه الأضداد، قال: "فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطَب أيهما أراد المخاطِب، وبطل بذلك معنى تعلق الاسم على المسمى، فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه وسألوا عنه بضروب من الأجوبة؛ أن أحدهن أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، ولايعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين؛ لأنها يتقدمها، ويأتي بعدها ما يدلّ على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولايراد بها في حال المتكلم، والإخبار إلا معنى واحد؛ فمن ذلك قول الشاعر:

كل شيء ماخلا الموت جلل والفتى يسعى ويلهيه الأمل

فدلّ ماتقدم قبل جلل وتأخر بعده على أن معناه كلّ شيء ماخلا الموت يسير، ولايتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل ههنا معناه عظيم"[xxii].

واضح من حديث الأنباري؛ أنه لايُعرَف معنى القول ودلالته، إلا بمعرفة سياقه الذي ورد فيه، وإلى هذا أشار ابن جني (ت ٣٩٢هـ) في حديثه عن أثر السياق الذي على المتلقي معرفته ليحدد دلالة الكلام؛ قال "واحتج أبو بكر عليه بأنه لا يؤمن أن تكون هذه الألفاظ المنقولة إلينا قد كانت لها أسباب لم نشاهدها، ولم ندر ما حديثها، ومثل له بقولهم (رفع عقيرته) إذا رفع صوته. قال له أبو بكر: فلو ذهبنا نشتق لقولهم (ع ق ر) من معنى الصوت لبعد الأمر جداً، وإنما هو أن رجلاً قطعت إحدى رجليه فرفعها ووضعها على الأخرى، ثم نادى وصرخ بأعلى صوته، فقال

الناس: رفع عقيرته، أي رجله المعقورة. قال أبو بكر: فقال أبو إسحاق: لست أدفع هذا. ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا: أو لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر، يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال والأوائل. فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق، ويونس، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه، وأبو الحسن، وأبو زيد، وخلف الأحمر، والأصمعي، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات، ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه، غير متهم الرأي والنحيزة والعقل. هذا حديث ما غاب عنا فلم ينقل إلينا، وكأنه حاضر معنا، مناج لنا"[xxiii].

في هذا القول إشارات كثيرة على معرفة العرب الأقدمين أهمية معرفة السياق وأثره في توجيه المعنى، والمتتبع النصوص العربية اللغوية والبلاغية، ونصوص الأصوليين، والمفسرين، والمشتغلين منهم في علوم القرآن، يجد أنه -أي السياق- جزءاً من أدواتهم في معرفة دلالات النصوص أو تأويلاتها، وبيان المجمل، وترجيح المحتمل، وتقرير الواضح؛ إذن فالسياق "مرشد إلى تبين المجملات، وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال، فكل صفة وقعت في سياق المدح، كانت مدحا، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما، فما كان مدحا بالوضع فوقع في سياق الذم صار ذما واستهزاء وتهكما بعرف الاستعمال؛ مثاله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[xxiv]؛ أي الذليل المهان، لوقوع ذلك في سياق الذم. وكذلك قول قوم شعيب: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[xxv]؛ أي السفيه الجاهل لوقوعه في سياق الإنكار عليه، وكذلك ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾[xxvi]، لوقوعه في سياق ذمهم بإضلال الأتباع"[xxvii].

ومثل هذا القول في إيضاح معنى مفهوم السياق ذكره ابن القيم (ت٧٥١هـ) في بدائع الفوائد وبين أهميته، وحذّر من إهماله؛ قال: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظراته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[xxviii]، كيف تجد سياقه يدلّ على أنه الذليل الحقير"[xxix].

ولم تتوقف نصوص الأقدمين على معرفة السياق وبيان أهميته، بل حث كثير منهم المفسرين على الاعتناء به، والعمل على أن يكون رائدهم في معرفة دلالات النصوص، وبيان ما يخفيه نظم الكلام من معانٍ لاتتحدد إلا بمعرفة سياقها؛ وقد نبّه الزركشي (ت٧٩٤هـ) المفسرين في كتابه البرهان إلى أهمية السياق بالقول: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترى صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا حتى كأن غيره مطروح"[xxx].

وهذا القول أكده السيوطي (ت ٩١١هـ)، إذ يرى أن على المفسر "بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام"[xxxi].

ذكرنا آنفاً أن معجمات المصطلحات العربية خلت أو تكاد من وضع تعريف لمصطلح السياق؛ إلا أننا نجد بعض العلماء العرب –ولاسيما المتأخرون منهم- قد وضع تعريفا للسياق في كتبه، قد تكون دعته إلى ذلك حاجته لبيان مراده من نص أورده، أو تأويل أراده، أو مصطلح يوضحه، مثلما هي الحال عند السجلماسي (ت ق ٨هـ)، حين حاول شرح مفهوم الاكتفاء الذي جعله أحد نوعين يقعان تحت مفهوم الاصطلام، وقد حد الاكتفاء بالقول: "هو قول مركب من جزأين فيه مرتبطين، ترك منهما للدلالة عليه جزء شأنه أن يصرح به، وقد نرسمه أيضاً بما هو الاجتزاء من أحد المرتبطين بالثاني"[xxxii]. يفهم من قول السجلماسي هذا أن المراد بالاكتفاء هو السياق اللغوي، إذ يمكن استدعاء جزء القول المسكوت عنه، من خلال السياق اللغوي الذي وضع فيه الجزء المتبقي (المكتفى به) لمعرفة دلالته. وهو ما أوضحه في قوله: "وشرط الاختزال الذي هو جنس متوسط بالجملة اكتفاءً، أو حذفاً مقابلياً، وغيره، شرط الصحة فيه المسّوغ له، هو قطع الدلالة على المختَزَل المتروك حيث الحذف أجزل مبنى، وأشرف مقطعاً، وأنوه دلالة، وأشد مبالغة، وأفصح لفظاً"[xxxiii].

ثم يجعل الدلالة القاطعة ضربين؛ سياق، وإضافة، وهنا يحدّ السياق بالقول: "هو ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول"[xxxiv]، وهنا يخرج من دائرة السياق اللغوي إلى سياق الموقف، فالقصد مرتبط بأحداث غير لغوية تؤثر في دلالة القول، أو توجهه بما يمكّن المتلقي من فهمه. وهذا ما عززه في قوله اللاحق الساند للحد الذي وضعه للسياق؛ قال: "وأما السياق فالدلالة القاطعة

على المحذوف، الناصة عليه، المبرزة لتقديره الشخصي، أو لتقديره الواحد بالنوع المتنزل منزلة الشخصي من القوة إلى الفعل"[xxxv].

وعلى الرغم من كون الحديث الذي ساقه السجلماسي يجري على المحذوف من الكلام، إلا أن هذا المفهوم ينطبق على كل كلام يعوز فهمه كل العناصر اللغوية وغير اللغوية لتوجيه دلالته المراد تبليغها المتلقي؛ فالمحذوف قد لايكون أحرفا أو كلمات، وإنما دلالات تختفي وراء الموقف الذي ورد فيه النص/الكلام، وهو ما يفهم من قوله: " أو لتقديره الواحد بالنوع المتنزل منزلة الشخصي من القوة إلى الفعل".

وفي حديثه عن الضابط الذي يوصل إلى فهم النصوص القرآنية، ويعين على تفسيرها، يشير الشاطبي (ت٧٩٠هـ) إلى أهمية السياق الذي يعين على فهم الكلمة، سواء أكانت منفردة، أم منضوية في كلام، أم في قضية ما من القضايا، ويعبر عنه بالمساق، وجاء في نصه بصيغة الجمع؛ قال: "إن المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات، والنوازل. وهذا معلوم في علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم، والالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها؛ فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد. فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره؛ وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف. وإن فرّق النظر في أجزائه، فلا يتوصل به إلى مراده..." [xxxvi].

إذن على المتلقي أن ينظر إلى النص كاملا من أوله حتى آخره؛ أي عليه أن لا يغفل السياق اللغوي للنص، وهو أن النص مشتمل على جمل بعضها متعلق ببعض. وأن يراعي المتلقي سياق الحال عبر مراعاته زمان النص ومكانه، ومراعاته أيضاً الظروف التي ورد فيها النص، كي يصل إلى الفهم الحقيقي لمعناه. وهذا ما يوضحه الكلام الذي أرده بعد نصه السابق؛ قال: "فإذا صح له ظاهر العربية رجع إلى نفس الكلام، فعما قريب يبدو له منه المعنى المراد، فعليه التعبد به. وقد يعينه في هذا المقصد النظر في أسباب التنزيل؛ فإنها تبين كثيراً من المواضع التي يختلف مغزاها على الناظر"[xxxvii].

ماتقدم كان محاولة لإيجاد دلالة مصطلحية للسياق التي خلت منها معجمات المصطلحات عند المؤلفين العرب الأقدمين، وحاولنا البحث عنها لدى غيرهم من اللغويين، والبلاغيين، والفقهاء، وعلماء الأصول، وحين نمعن النظر في معجمات المصطلحات لدى المحدثين، لانجد كبير عناية لديهم بهذا المصطلح على أهميته في علم اللغة الحديث، على الرغم من أن الأعم الأغلب منهم وضع معجمه مستعينا بالنظريات اللغوية الغربية الحديثة، فكان من الأولى أن يولوه العناية التي نالها من هذه النظريات، لكننا حين نبحث، نجد إشارتين يتيمتين متشابهتين في معجمين هما؛ معجم علم اللغة النظري الذي حدّ السياق بالقول: "السياق (Context): البيئة اللغوية المحيطة بالفونيم أو المورفيم، أو الكلمة، أو الجملة. والنظرية السياقية (Context Meaning): هي تفسير معنى الكلمة حسب السياق الذي تقع فيه"[xxxviii].

والحدّ الآخر الذي جاء اختصاراً للتعريف السابق، ولم يضف إليه شيئاً مثلما هو المتوقع، إذ لابد من أن يضيف اللاحق على السابق شيئاً من التوضيح والتفسير والزيادة؛ فقد اكتفى البعلبكي في معجم المصطلحات اللغوية بتعريفه السياق بالقول: "سياق: مايسبق العنصر اللغوي أو يليه في كلام أو نص، سواء أكان صوتاً أم كلمة أم جملة"[xxxix].

والملاحظ هنا من التعريفين في أعلاه أنهما لم يتحدثا عن السياق الخارجي، أو مايسمى سياق الحال أو المقام، واكتفيا بالحديث عن السياق اللغوي، والعلاقة بين الجمل وأجزائها من كلمات وعناصر صوتية وصرفية، اللاحق منها بالسابق. في حين نجد الأقدمين لم يغفلوا الحديث عن سياق الحال وأثره في تحديد دلالات الكلام، وهذا مايعد مثلبة تؤخذ على هذين المعجمين، كونهما ألّفا في زمان أصبح فيه مصطلح السياق بنوعيه؛ سياق المقال، وسياق الحال قارا، معروفا ومتداولا، حفلت به جميع المعجمات الغربية التي تناولت مصطلحات علم اللغة على كثرتها[xl]، فلو جاؤوا بترجمة من أحد هذه المعجمات، لسدوا هذا النقص في تعريفيهم، وابتعدوا عن الانتقاد والانتقاص.

المبحث الثاني
دلالة السياق الإجرائية
في نصوص أبي جعفر النحاس

لعل مايمنح كلمة ما من الكلمات دلالاتها -المفردة أو المتعددة- هو الاستعمال، فالكلمة المفردة بحروفها الصماء لاتحمل دلالة بنفسها إلا الدلالة التي يلبسها إياها المتكلم بالاستعمال. فالكلمة تكتسي دلالاتها عبر ماتحمله من غايات ورغبات، يحاول المتكلم إيصالها إلى متلقين عدة، وفي مواقف مختلفة، وفي سياقات شتى، ليعبر بها في كثير من الأحيان عن أشياء متباينة، وربما الشيء ونقيضه.

وقراءة في المعجمات العربية يدرك القارئ عدد الدلالات الكبير التي تحملها المفردة الواحدة، ولعل ضخامة معجماتنا العربية سببه هذا الكم من المعاني والدلالات للمفردة الواحدة، فأمة بهذا التاريخ وهذا الإرث الثقافي الكبير، جدير بها أن تتسع لغتها، وتثرى ألفاظها بغنى المعاني، ومن هنا بحثنا عن دلالة كلمة (السياق) في نصوص أبي جعفر النحاس، إمام العربية، وصاحب التصانيف مثلما يصفه الذهبي، وهي محاولة استقصاء ورود الكلمة في تضاعيف نصوص بعض كتبه، للوقوف على دلالتها الإجرائية (في الاستعمال)، ومعرفة ما إذا كانت تحمل دلالة واحدة، أو دلالات متعددة.

بداية ارتأينا أن نقف على من استعمل كلمة السياق في كتاباته من المؤلفين الأوائل، وقد وجدنا أن أول نص ضم هذه المفردة، هو ما وضعه الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ) في كتابه الرسالة عنواناً لأحد أبوابه الذي سمّاه بـ (الصنف الذي يبين سياقه معناه)، وعلى الرغم من أن الشافعي لم يشرح مقصده بالسياق، واكتفى بأن أورد أمثلة من القرآن الكريم، إلا أن أمثلته وتعليقاته عليها تبين مراده؛ فقد مثّل لهذا الباب بقوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[xli]، ثم علّق عليها بالقول: "فابتدأ جلّ ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال (إذ يعدون سبتهم) الآية؛ دلّ على أنه إنما أراد أهل القرية؛ لأن القرية لاتكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا في غيره، وأنه أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يكسبون"[xlii].

ظاهر مراد الإمام الشافعي من السياق هنا؛ أن دلالة الكلام تنبئ عن كلام محذوف دلّ عليه سياق الآية الكريمة، فالمراد بالقرية أهل القرية، فاكتفى بذكرها معولا على السياق في معرفة

المراد، فالانتقال من الخطاب عن المفرد المؤنث (القرية)، إلى الخطاب عن الجمع المذكر (يعدّون، تأتيهم، يسبتون، نبلوهم)، فيها دلالة على أن السياق مختص بجمع (أهل القرية)، لا المفرد المؤنث.

ومثله شاهده الآخر الذي عزز به الآية التي ذكرها أولاً، قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾[xliii]، وذكر شارحاً شاهده بالقول: "فذكر قصم القرية، فلما ذكر أنها ظالمة بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها، دون منازلها التي لاتظلم، ولما ذكر القوم المنشئين بعدها، وذكر إحساسهم البأس عند القصم؛ أحاط العلم إنما أحس البأس من يعرف البأس من الآدميين"[xliv].

وهذا توضيح لما قدمه من شواهد على السياق، وهو مثل سابقه، فيه اعتماد على السياق اللغوي الذي اعتاد العرب على فهمه، فالإيجاز من صفات كلام العرب، فهم يعولون على ربط السياق أو الحال بفهم النص[xlv]، وإلى ذلك أشار بقوله في حديثه عن أن الله تعالى خاطب العرب بأساليب لسانها، وعلى ماتعرف من معانيها، واتساع لغتها، ووصف لسان العرب (كلامها) بالقول: "وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره. وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ماخوطب به فيه. وعاماً ظاهراً يراد به الخاص، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو أوسطه أو آخره"[xlvi].

ثم وصف أساليب العرب في كلامها، وطرائقها في إنشائه، فالعرب: "تبتدئ الشيء من كلامها يُبِين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يُبِين آخر لفظها منه عن أوله. وتكلم بالشيء تعرّفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرّف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها"[xlvii].

وعود على ورود كلمة السياق في كتب النحاس، نجد أنها دارت في مواضع عدة من كتابه إعراب القرآن، فقد وردت في حديثه عن إعراب الآية (٤٩) من سورة البقرة، ولاسيما عند حديثه عن ضبط كلمة غرفة التي وردت في قوله تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، أهي بالفتح أم

بالضم؛ قال: "اختار أبو عبيد: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بضم الغين قال: لأنه لم يقل: غَرفَ وإنما هو الماء بعينه.

قال أبو جعفر: الفتح في هذا أولى؛ لأن الغُرفة بالضمِّ هي ملءُ الشيء، يقع للقليل والكثير، والغرفة بالفتح المرة الواحدة، و**سياق** الكلام يدلُّ على القليل، فالفتح أشبه"[xlviii]. ودلالة السياق التي عناها هنا هي دلالة المفردة (الغرفة)، وترجيحه الفتح كونه يدلّ على الغَرفة الواحدة، لا الشرب والإرتواء الذي نهى عنه طالوت أتباعه، وهو ما تدل عليه الآية بمجموع دلالات مفرداتها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾[xlix]، إذن فالسياق الذي يتحدث عنه هاهنا هو السياق اللغوي الذي وردت فيه الكلمة (غرفة)، وحدد معناها بالمعنى العام الذي كونته دلالات مفردات الآية الكريمة ضمن السياق الذي وردن فيه، لذلك استبعد الضم، كون معنى (الغُرفة) –مثلما يشير- ملءُ الشيء، أو الامتلاء[l].

وفي كلامه عن الأوجه الإعرابية لقوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿**إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[li]، أشار إلى آراء ثلاثة من كبار أهل اللغة في موقع إعراب (إذ) الواردة في الآية الكريمة، إذ ذكر أن رأي أبي عبيدة أنها زائدة[lii]، ورأي المبرد الذي يرى أن التقدير "إذكر إذ قال"[liii]، والرأي الآخر؛ هو رأي أبي إسحاق الزجاج الذي يرى أن "المعنى واصطفى آل عمران إذ قالت امرأة عمران"[liv]، وهنا يرى النحاس أن رأي أبي عبيدة أولى من ثلاث جهات؛ من جهة التفسير، وسياق اللام، والإعراب، وبعد عرضه تفسيره الآية الكريمة، يبين جهة السياق، التي قال فيها: "و**سياق** الكلام أنها قالت: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى؛ أي وليست الأنثى مما يقبل، فقال الله جلّ وعزّ: (فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ)" [lv].

يحمل قول النحاس هنا معنيين للسياق؛ الأول السياق اللغوي المتمثل بتعويض المتلقي ما اختُزل من مفردات أشار إليها المعنى العام للنص، التي تندرج في باب الإيجاز، فقوله: "أي ليست الأنثى ممايقبل"؛ هو ذلك الجزء الذي يفهمه المتلقي من مجموع دلالات النص، وعليه بإحضاره ذهنيا بالاعتماد على السياق اللغوي العام للآية الكريمة.

والآخر سياق الحال أو المقام، إذ يشير النص إلى العرف والعادة آنذاك، وهي أن يُحرر الغلمان لخدمة بيت المقدس، والأنثى لاتصلح لما يصلح له الذكر من التحرير للخدمة، لما يلحقها من الحيض والنفاس، والصيانة من التبرج، وكذلك لايجوز لأنثى أن تخدم بين الرجال، إذ كان الخدم آنذاك حصراً من الرجال[lvi]، وفي هذا إحالة على سياق خارج النص اللغوي؛ أي على المقام الذي يجب على المتلقي أن يربط بينه وبين النص اللغوي، من أجل الوقوف على المعنى المراد من النص.

إذن يفهم من إشارة النحاس إلى سياق الكلام الوارد في الآية الكريمة، أنه عنى به السياق اللغوي الذي يوجب على المتلقي القيام بترميم النص بما يضمن فهما لدلالته، بالاعتماد على نسق الكلام وموقع الكلمة فيه. ويفهم أيضاً إشارة إلى سياق الحال، بالاعتماد على عناصر غير لغوية (العرف أو العادة)، لمعرفة ما يحمله النص من دلالة؛ أي بإحالته على ماهو خارج ما يتضمنه النص من دلالات مفرداته المكونة له.

ومن المواضع التي وردت فيها مفردة (السياق)، في إعرابه اللام في قوله تعالى: **﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾** [lvii]، إذ عرض قراءة الأعمش وحمزة بجعل اللام ناصبة، وهي مخالفة قراءة الجمهور التي اعتمدها، وهي أن اللام لام أمر، قال: "أمر، ويجوز كسر اللام والجزم؛ لأن أصل اللام الكسر، وفي الكلام حذف، والمعنى وأمرنا أهله أن يحكموا (بما أنزل الله فيه)، فحُذِف هذا، وقرأ الأعمش وحمزة (لِيَحْكُمَ أهلُ الإنجيل) على أنها لام كي، والأمر أشبه، **وسياق** الكلام يدلّ عليه"[lviii]. لاينكر النحاس قراءة الأعمش وحمزة، بل يستحسنها، إذ يشير كلامه إلى أنهما متشابهتان في المعنى، ولافرق بينهما؛ "لأن الله تعالى لم ينزل كتاباً إلا ليعمل فيما فيه، وأمر بالعمل بما فيه، فصحتا جميعاً"[lix]. وسياق الكلام الذي أراده هنا هو المعنى العام للنص، إذ لا يؤثر كون اللام للأمر أو ناصبة مادام المعنى واحداً، فالسياق اللغوي الذي وردت فيه، وهو ماتقدم من قول الله تبارك وتعالى في الآية التي سبقت هذه الآية: **﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾** [lx]، وكذلك ماورد في نص الآية نفسها **﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**

فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [lxi]، وهو الذي أوحى للنحاس بالحكم على القراءتين بأنهما متشابهتان.

إذن فمدلول السياق هنا لغوي، إذ اعتمد فيه النحاس على مجرى الكلام الذي وردت فيه اللام، وأثر موقعها في الكلام السابق عليها، واللاحق لها، وما تحمله مفرداته من دلالات جعلها تحتمل أن تكون للأمر، أو ناصبة، إذ لا فرق في الدلالة العامة للنص، مع كونه قد جعلها للأمر.

ووردت كلمة (سياق) أيضاً في إعرابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [lxii]، فبعد بيانه موقع الكلمات من الإعراب، معنى الآية الكريمة؛ قال: "والغضب من الله جلّ وعزّ العقوبة، وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا؛ لأنهم أمروا أن يقتل بعضهم بعضا، ورأوا أنهم قد ضلّوا. والأشبه **بسياق** الكلام؛ أن يكون: إنّ الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، من كلام موسى صلّى الله عليه وسلّم، أخبر الله جلّ وعزّ به عنه، وتمّ الكلام ثم قال الله عزّ وجلّ: وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ"[lxiii]. هنا يتحدث النحاس عن اتصال الجزء الأول من الآية الكريمة بخطاب موسى◆، إذ يرى أن الآية لم تخرج عن السياق الكلي للنص، فالآية تكملة لما قبلها من خطاب على لسان موسى◆ بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[lxiv]، وهذا متمم لما تحدث به موسى◆من دعاء له ولأخيه، وتبيان لعقوبة الذين خالفوه من بعده واتخذوا العجل من بعده، وقد دلّه إلى هذا الرأي سياق الكلام وتراتبيته، فجعله على لسان موسى◆، والكلام الذي يليه ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾، هو لله تبارك وتعالى. فالسياق هنا لم يخرج عن النص اللغوي، فاعتمد فيه على ماورد في الكلام من مفردات لغوية، والدلالة الكبرى للنص.

وفي معرض حديثه عن وجوه القراءات في (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ)، في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [lxv]، وردت كلمة (سياق) في رده على القراء الذين يرون أن أصل (الْمُعَذِّرُونَ) المعتذرون

وأدغمت التاء بالذال، ونقلت حركة التاء إلى العين، فيرى رأي من يقول بعدم جواز الإدغام؛ قال: "قال أبو العباس محمد بن يزيد ولا يجوز أن يكون فيه (المعتذرين)، ولا يجوز الإدغام فيقع اللبس. وذكر إسماعيل بن إسحاق أن الإدغام فيه مجتنب على قول الخليل وسيبويه، وأن **سياق** الكلام يدلّ على أنهم مذمومون ولا عذر لهم. قال: لأنهم جاؤوا (ليؤذن لهم)، ولو كانوا من الضعفاء والمرضى أو الذين لايجدون ماينفقون لم يحتاجوا أن يستأذنوا"[lxvi].

الملاحظ من النص أن كلمة السياق وردت في نسق لغوي سابق على الآية يتحدث عن الجهاد وجزاء المجاهدين عند الله تعالى، وأيضاً نسق المفردات التي تليها، منها كلمة الأعراب، التي تحمل دلالة سيئة في كثير من الآيات القرآنية[lxvii]، والتي يقترن بعض منها بلفظ (المخلّفون/المخلّفين)، ومقترنة أيضاً بذمهم، دلالة على أنهم غير معذورين. فدلالة السياق هنا دلالة لغوية تحيل على منظومة لغوية سابقة ولاحقة حملّت الكلمة الدلالة التي تساوقت مع مجمل دلالات مفردات النص.

وتحمل كلمة السياق في النص دلالة الحال، فالغرض الذي من أجله جيئ بالكلمة، يحيل على مجموعة من المواقف السلبية التي اختزنتها كلمة (أعراب)، وعكست ظلالها على كلمة (المعذّرون) المقترنة بها، ما يجعل السياق يخرج إلى خارج اللغوي (النص)، باتجاه اللا لغوي (المقام أو الحال)، إذن عبرت كلمة السياق عن السياقين اللغوي المتمثل بالكلمات السابقة واللاحقة، والمشحونة بالدلالات التي أعطت مفردة (المعذّرون) دلالتها التي أشار إليها نص النحاس، وكذلك سياق الحال عبر المواقف غير اللغوية التي أضفاها واقع حال هؤلاء (المعذّرين) على دلالة المفردة.

وجاء ذكر مفردة السياق في حديثه عمّن قرأ القراءة المخالفة للمصحف الشريف لقوله تعالى: ﴿﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [lxviii]، فقد ذكر أن ابن عباس قرأها: (فقد كذب الكافرون فكان لزاما)، لكنه حملها على التفسير، وبين أن معنى قراءة المصحف **(فَقَدْ كَذَّبْتُمْ)**، أنها خطاب إلى الكفار، وأنها "أولى **بسياق** الكلام؛ لأن الله جل وعز قال: **(مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ)** فهذه مخاطبة، وكذا **(فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا)** فهذا أولى من (فقد كذّب الكافرون فسوف يكون لزاماً)" [lxix]. إذن فالسياق الذي يتحدث عنه النحاس هنا سياق لغوي،

إذ مجرى الكلام يدّل على الخطاب، وقد استعمل فيه ضمير المخاطب (الكاف)، وكذلك اتصال الضمير التاء التي للمخاطب (كذّبتم)، وهو خلاف القراءة الأخرى التي تتحدث عن الغائب (كذّب الكافرون)، وهنا سيكون انتقال من الخطاب إلى الغيبة، وعندها سيكون الجزء الأول مقطوع عن جزئها الأخير، وأن الذين لايعبأ بهم ربهم، غير أولئك الكافرين الذين سيكون عذابهم لزاماً لتكذيبهم، وهو خلاف مضمون السورة التي وردت فيها الآية. ولعل النحاس أدرك أن الآية تحيل على مجموعة الآيات التي بدئت بها السورة الكريمة (الآيات من٣ إلى ٥٥) التي تتحدث عن المكذبين بالله والعذاب الذي أعده الله لهم جزاء تكذيبهم، وهذا الترابط بين خاتمة السورة وأولها، يذكّر الله تعالى به قارئ السورة بأن هؤلاء المكذبين هم أولئك الذين أخبرت عنهم في الآيات السابقة. ليس هذا وحسب، بل جاء على ذكر المكذبين في ثلاثة مواضع مختلفة غير الموضع الأخير، ليذكّر بالمقصودين بالخطاب؛ فقد جاء في الآية (١١) من السورة نفسها قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾، وفي الآية (١٩): ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا * وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[lxx]، فالقراءة النصية للسورة تدعم رأي النحاس، الذي أظن أنه يعي أن السياق يتعدى حدود الكلمات التي سبقت الكلمة أو التي لحقتها، إلى النص القرآني بكليته، فهو وحدة واحدة، وأن الغاية من مجيئ الكلمة في كل هذه المواضع، هو لأجل الربط بين أجزاء النص الكريم، وأنه وحدة دلالية يحكمها السياق، والاتساق.

والنص الآخر من كتاب النحاس (إعراب القرآن)، الذي وردت فيه كلمة السياق، ذلك الذي عرض فيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[lxxi]، ذكر أن فيه قولين؛ "أحدهما أن سياق الكلام يدلّ على أنه في الآخرة؛ أي لو شئنا لرددناهم إلى الدنيا والمحنة، كما سألوا (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ)؛ أي حقّ القول مني لأعذّبن من عصاني بعذاب جهنم، وعلم الله جل وعز أنه لو ردهم لعادوا كما قال (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ)[lxxii]"[lxxiii].

من الجلي هنا أن مقصوده من السياق هو السياق اللغوي، والدليل على ذلك نسق الكلمات، وأدوات الربط التي أحالت على القول الأول (ولو شئنا...)، وربطه بالجزء الآخر من الآية (ولكن حقّ القول...)، إذ استدل النحاس على هذا الترابط، بالوعيد الذي ورد في ختام الاية، إذ إن إتيان الهدى الوارد في الآية الكريمة موضعه الآخرة، وهو ما أكده بربطه سياق الآية بما جاء بسورة الأنعام من إخبار عن علم الله تعالى بهولاء الذين إن أعيدوا إلى الدنيا سيعودون للمعصية.

ويفهم أيضاً من استشهاد النحاس بالآية من سورة الأنعام، أن ثمة رابط بين الآيتين من حيث الموقف، إذ إن المقام الذي جاءت الآيتان على وصفه، يدلّ على أنه في الآخرة، وأنه ردّ على طلب أهل النار بالعودة إلى الحياة ليعملوا صالحاً، ويتجنبوا العودة إلى جهنم، وهو مايشير إليه معنى الآيتين.

يجدر الذكر هنا أن استعمال النحاس لمفردة السياق، وإن لم نجد اصطلاحا يحدها، أو تعريفا يبين دلالة اصطلاحية لها، فيه دليل على وعيه بمدلوليها اللغوي والمقامي، ومعرفته بما تحيل عليه من معنى، وإدراكه أهمية وحدة النص في تحديد دلالته، وثقته بفهم متلقيه لها، فكأن استعماله إياها يشير إلى أنها متوافق على دلالتها بين معاصريه، وربما بين طبقة الذين من قبله من الكتاب والقراء على السواء، وهو مثلما رأينا لايختلف كثيراً عمّا جاء به المتأخرون من اللسانيين الغربيين من دلالة اصطلاحية للمفردة.

الخاتمـــة

في ختام بحثنا عن مدلول مفردة السياق في الاستعمال عند النحاس، نضع بضع النتائج التي خرجنا بها؛ وهي كالآتي:

- إن دلالة لفظ (سياق) في المعجمات العربية، لم تخرج عن معنى التتابع؛ سواء في السَوق للإبل وسواها، أو المريض حين ينازع الروح، أو السياق (المهر)، فيما يتعلق بالحديث أو الكلام.
- لايقتصر مفهوم السياق على المقال وحده، والعلاقة اللغوية بين الكلمات المتراصفة في الكلام/النص، بل يشمل كل الظروف والملابسات من العناصر غير اللغوية التي تحيط بالنص وتؤثر فيه والمتمثلة بسياق الحال أو المقام.
- معجمات المصطلحات العربية خلت أو تكاد من وضع تعريف لمصطلح السياق، لكننا نجد أن بعض العلماء العرب وضع حدّاً للسياق ضمنه كتبه، وقد تكون دعته إلى ذلك حاجته لبيان مراده من نص أورده، أو تأويل أراده، أو مصطلح يوضحه.
- يدل استعمال النحاس لمفردة السياق أنه يعي أنه (السياق) يتعدى حدود الكلمات التي سبقت الكلمة أو التي لحقتها، إلى النص القرآني بكليته، فهو وحدة واحدة، وأن الغاية من

مجيئ كلمة (ما) في كل مواضع عدة من النص، هو لأجل الربط بين أجزاء النص الكريم، وأنه وحدة دلالية يحكمها السياق، والاتساق.

- إن استعمال النحاس لمفردة السياق، وإن لم نجد اصطلاحا يحدها، أو تعريفا يبين دلالة اصطلاحية لها، فيه دليل على وعيه بمدلوليها اللغوي والمقامي، ومعرفته بما تحيل عليه من معنى، وإدراكه أهمية وحدة النص في تحديد دلالته، وثقته بفهم متلقيه لها، فكأن استعماله إياها يشير إلى أنها متوافق على دلالتها بين معاصريه، وربما بين طبقة الذين من قبله من الكتاب والقراء على السواء.

المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم.

❖ الإتقان في علوم القرآن، أبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.

❖ أساس البلاغة، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

❖ الأضداد، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم؛ دائرة المطبوعات والنشر، الكويت ١٩٦٠.

❖ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف الخرما، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٩، الكويت، ١٩٧٨.

❖ إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، عالم الكتب، ط٢، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

❖ الإمام في أدلة الأحكام، عزالدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: رضوان مختار بن غربية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

❖ البحث الدلالي عند الأصوليين، د. محمد يوسف حبلص، مكتبة عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.
❖ بدائع الفوائد، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة، دت.
❖ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، دت:.
❖ تاج العروس من جواهر القاموس (ج٢٥)، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت (سلسلة التراث)، الكويت، ١٤٠٩هـ_ ١٩٨٩م.
❖ تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، ط٢، القاهرة، دت.
❖ الخصائص، أبو الفتح عثمان إبن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دت.
❖ دلالة السياق، د. ردة الله بن ضيف بن ردة الطلحي، مطبعة جامعة أم القرى، ط١، مكة المكرمة، ١٤٢٤هـ.
❖ دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، ط٣، القاهرة، ١٩٧٢.
❖ ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف (سلسلة ذخائر العرب)، القاهرة، دت.
❖ الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار التراث، ط٢، القاهرة، ١٣٩٩هـ .
❖ السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، مطبعة النجاح الجديدة، ط١، الدار البيضاء، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

❖ علم الدلالة: ف. بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.
❖ الكليات، لأبي البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط٢، دمشق، ١٩٨٢م.
❖ لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، دت.
❖ اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، ط١، الدار البيضاء-المغرب، ١٩٩٤م.
❖ مبادئ اللسانيات، أحمد قدور، دار الفكر، ط١، دمشق، ١٩٩٦.
❖ مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ)، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.
❖ مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار المرتضى، ط١، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
❖ مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند، وفولفغانغ دريسلر، وإلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، مطبعة دار الكاتب، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
❖ معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: د.عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط١، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
❖ معجم المصطلحات اللغوية، د. رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٩٠.
❖ معجم علم اللغة النظري، د. محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، ط١، بيروت-لبنان، ١٩٨٢.
❖ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن الحسين بن زكريا بن فارس (ت٣٩٥)، تحقيق: محمد عبد السلام هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
❖ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (ت ق٨هـ)، تقديم وتحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، ط١، الرباط – المغرب، ١٤٠١هـ-١٩٨٠م.

❖ الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي (ت ٧٩٠هـ)، شرح: الشيخ عبدالله دراز، دار الفكر العربي، ط٢، القاهرة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

❖ النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب، ط١، القاهرة، ١٩٩٨م.

❖ نظرية النقد العربي الحديث، الدكتور يوسف نور عوض، دار الأمين، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م.

❖ An Encyclopedic Dictionary of language and Languages, Dived Crystal, Blackwell Published, 1st Pup. Oxford, Uk, 1992.

❖ Dictionary of Literary Terms, Martin Gray, York Press, 7th edition, Beirut,1997.

❖ Encyclopedic Dictionary of the Sciences of Language, O. Ducrot and T. Todorov, Basil Blackwell. 1st Published, United Kingdom, 1981.

(i) معجم مقاييس اللغة: مادة (سوق)، ١١٧/٣.

(ii) أساس البلاغة: مادة (سوق)، ٤٨٤/١.

(iii) ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني: ١٩٤. وجاء في الديوان "على هدى" بالدال.

(iv) أساس البلاغة: مادة (سرد)، ٤٤٩/١.

(v) لسان العرب: مادة (سوق)، ١٦٦/١٠.

(vi) تاج العروس: مادة (سوق)، ٤٧٥/٢٥.

[vii] مفردة السِّياق بهذا المعنى مازالت تستعمل -وإن في نطاق محدود- في لهجة أهل الجنوب وبعض أرياف العراق.

[viii] Dictionary of Literary Terms; p.p: 67.

[ix] نظرية النقد العربي الحديث: ٢٩.

[x] Encyclopedic Dictionary of the Sciences of Language; p.p: 333.

[xi] ينظر: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة: ٣٢.

[xii] ينظر: علم الدلالة: ف. بالمر: ٩٩-١٠٢. وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: ١٢٠-١٢٣.

[xiii] ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٤. وينظر أيضاً: مدخل إلى علم لغة النص: ٢٠٩.

[xiv] ينظر: دور الكلمة في اللغة: ٥٦، و مبادئ اللسانيات: ٢٩٧.

[xv] دور الكلمة في اللغة: ٥٧.

[xvi] المصدر نفسه.

[xvii] الكليات، لأبي البقاء الكفوي: ٢٨/٣.

[xviii] دلالة السياق: ٣٤.

[xix] البحث الدلالي عند الأصوليين: ٢٨.

[xx] ينظر: دلالة السياق: ٣٥.

[xxi] اللغة العربية معناها ومبناها: ٣٧٢.

[xxii] الأضداد: ١-٢.

[xxiii] الخصائص: ٢٤٨/١.

[xxiv] الدخان: ٤٩.

[xxv] هود: ٨٧.

[xxvi] الأحزاب: ٦٧.

[xxvii] الإمام في أدلة الأحكام: ١٥٩-١٦٠.

[xxviii] الدخان: ٤٩.

[xxix] بدائع الفوائد: ١٣١٤/٤.

[xxx] البرهان في علوم القرآن: ٣١٧/١.

[xxxi] الإتقان في علوم القرآن: ٢٣١٦/٦.

[xxxii] المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: ١٨٨.

[xxxiii] المصدر نفسه.

[xxxiv] المصدر نفسه.

[xxxv] المصدر نفسه: ١٨٩.

[xxxvi] الموافقات في أصول الشريعة: ٤١٣/٣.

[xxxvii] المصدر نفسه: ٣١٤/٣.

[xxxviii] معجم علم اللغة النظري: ٥٧.

[xxxix] معجم المصطلحات اللغوية: ١١٩.

[xl] على سبيل المثال جاء في معجم كرستال تعريفا جامعا للسياق بنوعيه اللغوي والحالي أو المقامي، وكأن الأمر متلازما لايمكن فصل أحدهما عن الآخر؛ فقد عرف السياق بأنه علاقة جزء من الكلام بآخر مثل الكلمة، فالكلمة لايمكن تحديد معناها من دون معرفة السياق الذي وردت فيه، ففي النحو التوليدي ينظر إلى الوحدات اللغوية ضمن هيكلية (الجمل) وحينها تخضع لتأثير السياق، وحينما تكون خارج هذه الهيكلية يفقد السياق تأثيره فيها، وكذلك تطبيق القواعد النحوية تخضع لتأثير السياق اللغوي، إلا في حالات معينة تطبق فيها القواعد النحوية بغض النظر عن السياق.

وثمة ملامح غير لغوية تؤثر في انتظام الوحدات اللغوية تدعى أيضاً بسياق الحال أو المحيط، فالسياق التأريخي يحدد الحقبة الزمنية التي استعملت فيها اللغة، والسياق الجغرافي الذي يرسم مميزات استعمال اللغة تبعا للإقليم المستعملة فيه (اللهجات مثلا)، والسياق الاجتماعي الذي يؤثر في اللغة بوساطة مؤثرات مثل الوضع الاجتماعي للمتكلم، وعمره، وجنسه.

See: An Encyclopedic Dictionary of language and Languages: pp:82.

[١] الأعراف: ١٦٣.

[٢] الرسالة:٦٢.

[٣] الأنبياء: ١١-١٢.

[٤] الرسالة: ٦٣.

[٥] يشير ابن جني في باب "باب في أن المحذوف إذا دلّت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به" إلى أن حذف الجزء من الكلام المستغنى عنه يكون كالملفوظ به بدلالة الحال عليه؛ قال: "من ذلك أن ترى رجلا قد سدد سهما نحو الغرض ثم أرسله، فتسمع صوتاً فتقول: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس. فـ(أصاب) الآن في حكم الملفوظ به البتة، وإن لم يوجد في اللفظ، غير أن دلالة الحال نابت مناب اللفظ به". الخصائص: ٢٨٤/١-٢٨٥.

[٢] الرسالة: ٥٢.

[٢] المصدر نفسه.

[١] إعراب القرآن: ٣٢٧/١ .

[٢] البقرة: ٢٤٩.

[٣] جاء في لسان العرب: "الغَرفَة المرة الواحدة، والغُرفَة ما اغتُرِف. وفي التنزيل: إلا مَنْ اغتَرَفَ غَرْفَة، وغُرفَة؛ أبو العباس: غُرفة قراءة عثمان ومعناه الماء الذي يُغترف نفسه، وهو الإسم، والغرفة المرة من المصدر، ويقال: الغُرفة بالضم ملء اليد". لسان العرب: مادة (غرف)، ٢٦٣/٩.

[٤] آل عمران: ٣٥.

[٥] قال أبو عبيدة في مجاز القرآن: "(إذ قالت امرأة عمران)، معناها: قالت: امرأة عمران"، لم يذكر أبو عبيدة صراحة بالقول زيادة إذ، وإنما يفهم من إشارته الضمنية إلى زيادتها.

مجاز القرآن: ٩٠/١.

[١] إعراب القرآن: ٣٦٩/١.

[٢] المصدر نفسه.

رأي الزجاج هذا خالف فيه آراء من سبقه التي ذكرها في كتابه معاني القرآن وإعرابه، وبنى رأيه هذا بالقياس على قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾(آل عمران:٤٢)، إذ يرى أن العامل في (إذ قالت) معنى الاصطفاء، وهو المعنى المشترك في الآيتين: لذا فإن المعنى في (إذ قالت) هو: واصطفى آل عمران.

ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٠/١.

[٦] إعراب القرآن: ٣٧٠/١.

[lvi] ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٢٢٧/٢-٢٢٨.

[lvii] المائدة: ٤٧.

[lviii] إعراب القرآن: ٢٣/٢.

[lix] المصدر نفسه.

[lx] المائدة: ٤٦.

[lxi] المائدة: ٤٧.

[lxii] الأعراف: ١٥٢.

[lxiii] إعراب القرآن: ١٥٣/٢.

[lxiv] الأعراف: ١٥٠-١٥٢.

[lxv] التوبة: ٩٠.

[lxvi] إعراب القرآن: ٢٣٠/٢.

[lxvii] الآيات القرآنية التي تصف الأعراب بالكفر والنفاق كثيرة منها ماجاء في سورة التوبة في الآيات: ٩٠، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٢٠. وسورة الفتح: ١١، ١٦. والحجرات: ١٤.

[lxviii] الفرقان: ٧٧.

[lxix] إعراب القرآن: ٢/٢٣٠.

[lxx] الفرقان: ٣٥-٣٧.

[lxxi] السجدة: ١٣

[lxxii] الأنعام: ٢٨.

[lxxiii] إعراب القرآن: ٣/٢٩٤.